

اللغة العربية والمستقبل الحضاري للأمة

أ.د. محمد علي آذرشب

استاذ في جامعة طهران - وكيل

شؤون البحث العلمي

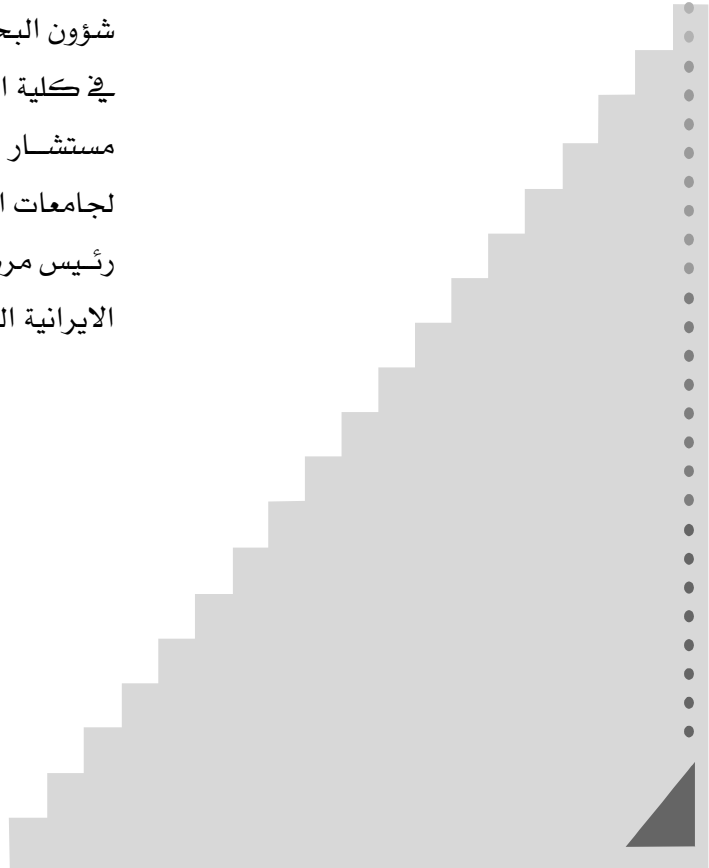
في كلية الآداب والعلوم الانسانية

مستشار رئيس الجامعة لشؤون

لجامعات العربية

رئيس مركز الدراسات الثقافية

الايرائية العربية



بداية أتقدم بالشكر الجزيل للقائمين على هذا المؤتمر ولما اختاروه من عنوان ومحاور، فهو يهمني جداً باعتبارين الأول: لاني قضيت عمري في خدمة هذه اللغة ببلدي ومع غير الناطقين بها، وهذا المؤتمر الموقر سيوفر لي بإذن الله فرصة الاستفادة مما يطرح فيه من مستجدات أحملها معي هدية من جمعكم الكريم إلى الزملاء والطلاب، والاعتبار الثاني: هو السؤال المطروح في عنوان المؤتمر: اللغة العربية إلى أين؟ وهو سؤال يشغل ذهني دائماً ضمن ما يشغل ذهني بشأن مستقبل هذه الأمة.

من هنا سأنتقل من هذا السؤال الهام، لانتهى بعد ذلك إلى المحور الذي اخترته وهو منهج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

وسأدرج في الحديث ضمن خمسة محاور هي:

١. اللغة العربية بين التوجّه القومي والتوجّه الحضاري .
- ٢ - تطور اللغة العربية في ظل التطور الحضاري الإسلامي.
- ٣ - ضعف اللغة العربية مع أفول الحضارة الإسلامية.
- ٤ - مستقبلنا الحضاري
- ٥ - التمهيد لعالمية اللغة العربية.

بين القومي والحضاري

قبل الدخول في هذا الموضوع لابد أن أبين رأيي في معنى الحضارة لتشعب الآراء فيها، وأختار الرأي القائل: إنها ثمرة حركة الإنسان على طريق كماله المادي والمعنوي.

ومما لاشك فيه أن الإسلام هو مشروع هذه الحركة التكاملية، وبدخول العرب في هذا المشروع تحولوا إلى أمة متحضرة ثم رفعوا لواءه إلى بقية شعوب العالم، فنمت دوحه الحضارة الإسلامية وأصبحت اللغة العربية لغة هذه الحضارة تشمل كل من دخل في دائرتها من عرب وغير عرب.

ومن الصور الرائعة للمدّ الحضاري الإسلامي ابتعاده عن الصدام القومي مع الشعوب المفتوحة خاصة في مجال اللغة. في إيران بُذلت في العصر الحديث محاولات كثيرة

للإساءة إلى اللغة العربيّة،^(١). لكنّ المحاولين لم يعثروا على وثيقة واحدة تدلّ أن اللغة العربيّة فُرضت جبراً على الإيرانيين. بل وجدوا العكس، إذ رأوا أن الإيرانيين انهمكوا في تعلّم اللغة العربيّة وتقعيد قواعدها واكتشاف أسرار بلاغتها وتدوين مفرداتها أكثر من العرب أنفسهم، ووجدوا أيضاً أن العرب المهاجرين إلى إيران بعد التصاهر والامتزاج بدأوا يتكلمون باللغة الفارسية الممزوجة بالعربية وهكذا الإيرانيون بدأوا يتكلمون بهذه اللغة الجديدة التي أصبحت فيما بعد اللغة الفارسية الإسلامية، وهي اللغة السائدة في إيران حتى يومنا هذا.

لكن العربية صارت لغة الحضارة الإسلامية في إيران واستمرت بارتفاع وهبوط حتى يومنا هذا.^(٢).

ذكرت هذا لأقول إن اللغة العربية امتدّت بشكل طبيعي مع امتداد دائرة الحضارة الإسلامية لأنها خرجت من الأطار القومي وأصبحت لغة هذه الحضارة.

وإذا أردنا اليوم أن نحافظ على هذا الامتداد في البلاد غير العربية فلا بدّ أن نقدّمها باعتبارها لغة حضارة، وإلاّ واجهنا ردود فعل قوميّة لاتخدم العرب ولا اللغة العربية ولا الإسلام.

لقد مرّت على العالم الإسلامي فترة تنافر قومي كان وراءها من وراءها، وانحسرت إلى حدّ كبير لكننا نرى آثار تلك السنين العجاف في الخطاب الذي يصلنا من العالم العربي اليوم. ففي العام الماضي بالذات (٢٠٠٥) تأتينا من العالم العربي نصوص تتحدث عن الامتزاج الحضاري العربي بالقول:

«كما أن دخول شعوب أخرى في الإسلام وتأكيد الدين الجديد على المساواة بين أفراد هذه الشعوب والعرب حملة الرسالة وقادة الحكم، قد ولد في نفس العربي شعوراً أخذ يزداد يوماً بعد يوم، تجلّى في ضرورة المحافظة على نقاء الدم العربي واللغة العربية في وجه الاختلاط بالأعاجم، لأن من نتائج هذا الاختلاط تلاشي السلطة العربية والوجود القومي العربي وسط الأكثرية من مسلمي الشعوب الأخرى، وشيوع اللحن في اللغة وفساد التذوق العربي لجمال اللغة وفصاحتها. وازداد تمسك العربي بنقاء اللغة العربية وضرورة المحافظة على العرق العربي عندما بدأت حركة سياسية وفكرية هي الشعبوية تحاول الانتقاص من كل ما هو عربي مقابل إعلاء منزلة الفرس وبيان فضلهم في السياسة

والحكم والأدب والعلم والفلسفة. وتحولت الشعوبية إلى قوة سياسية في الأقاليم البعيدة التي خضعت للسلطان العربي، وجاهرت بالعداء للعرب مستفيدة من بعض النصوص القرآنية الداعية إلى المساواة بين العربي وغير العربي، عاملة على إحياء التراث الفارسي والتغني بالأمجاد الفارسية.

ولكن الرد العربي كان عنيفاً كذلك، حيث وضعت مجموعة من الشروط والعوائق التي تحول دون امتزاج العرب بالأعاجم، كما انبرى عدد غير قليل من العلماء والمفكرين العرب للرد على الشعوبية، وبيان فضل العرب على من سواهم من الشعوب الأخرى. واشتدت العناية بالعلوم العربية، ومنها علوم اللغة، وأخذ الفصل يبدو واضحاً بين العربي والمولى في شؤون الحياة العامة. وغالى بعضهم في القول باختلاف دم العربي عن دم المولى. قال أبو بكر الشيباني: «كنت أسيراً مع بني عم لي من بني شيبان - وفينا من موالينا جماعة - في أيدي التغالبة - فضربوا أعناق الموالي على وهدة من الأرض، فكنت، والذي لا إله إلا هو، أرى دم العربي يتمايز عن دم الولي، حتى أرى بياض الأرض بينهما، فإذا كان هجيناً قام فوقه ولم يعتزل عنه»^(٣).

والكتب الدراسية القادمة من العالم العربي والتي يدرسها طلابنا الإيرانيون في فرع اللغة العربية تتحدث عن «الموالي» والمقصود بهم الإيرانيون طبعاً بأنهم:

«انحازوا إلى حركة الزندقة لإحياء الديانات الفارسية القديمة وتشويه الشريعة الإسلامية، وهدم القيم العربية وفسخ الكيان العربي الإسلامي وتصديعه وتقويضه»^(٤).

والغريب أن هذه اللغة المتعصبة نجدها حتى في الحديث عن عظماء الشعر في هذا العصر، وعلى لسان رجل كبير نجله جميعاً هو المرحوم الدكتور شوقي ضيف حيث يقول عن بشار بن برد رائد التجديد في الشعر العربي: «لم تكن طبيعته بسيطة ولا ساذجة بل كانت معقدة، فقد كان فارسي الأصل، ورث عن الفرس حدة المزاج، ونشأ قنناً ابن قن...»^(٥).

وأخيراً أتتنا كتب تتحامل على سبويه وتتحدث عن إساءته للغة العربية (كذا).

هذا ما يراه الإيرانيون من خطاب الكتاب والمفكرين والعلماء العرب. أما الخطاب السياسي والاعلامي فحدث ولا حرج في إثارته للنعرات القومية والطائفية، وأجل هذه الورقة عن الخوض فيها، لكن أقول إن هذا كله لا يساعد أبداً على تركيز وحدة

الدائرة الحضارية الإسلامية، ولا على البعد الحضاري للغة العربية.

اللغة والحضارة / قوة

اللغة العربية بعد ظهور الاسلام، إضافة إلى أنها استوعبت كلام الله، تطوّرت بسرعة هائلة لتواكب تطوّر العلوم والفنون على مسيرة الحضارة الاسلاميّة. وخلال التطوّر الهائل الذي شهده العالم الإسلامي خلال القرون الهجرية الأولى لم يُرو لنا من يشكو عجز اللغة العربية عن استيعاب هذا التطوّر. والسبب في ذلك يعود إلى أن الحركة الحضارية في المجتمع إذا انطلقت فإن الطاقات الخلاقة في الإنسان سوف تتفتح في كل المجالات بما في ذلك مجال اللغة لفظاً ومعنى لتواكب تلك الحركة.

فالحركة الحضارية هي التي تخلق الابداع في كل المجالات، بما في ذلك المجال اللغوي، لا كما يقول بعضهم أنّ اللغة هي التي تساعد على الابداع. فباسم «تطوير اللغة كي تساعد على الابداع» ظهرت الدعوة إلى العامية والى استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي، وفي إيران أيضاً ظهرت مثل هذه الدعوات ولم تتجح، وظهرت في تركيا ونجحت، نجحت لا في تفتح القوى الخلاقة للشعب التركي، بل في عملية المسخ التي لا تزال تعاني منها تركيا.

لو ألقينا نظرة على اللغة العربية وآدابها منذ ظهور الاسلام حتى القرن السابع الهجري لرأيناها في تطوّر مستمرّ وهذا التطوّر تكاملي يواكب كل مستجدّات العصر، ويبلغ ذروته في العصور الذهبية للحضارة الاسلاميّة. قد لا يوافقوني الذين يرون اللغة العربيّة قد ضعفت في هذه العصور لاختلاطها بالاعاجم كما يقولون. لكنني أرى أنها طوت مع تطور الحضارة الإسلامية مسيرة تصاعديّة هائلة في تطويع الالفاظ للمستجدات وفي ابتكار المعاني.

اللغة كما يقال: «ليست شيئاً أكثر أو أقلّ، أفضل أو أردأ، أذكى أو أغبى ممن يتكلمونها. إنها هي هم، جاءوا حروفاً منطوقة ومسموعة ومقروءة ومكتوبة. إن البشر في كل تاريخهم ليسوا إلاّ لغاتهم، جاءوا وقرأوا وأسلوب أكثر وضوحاً وتحديداً وتعريفاً بالذات»^(١).

اللغة والحضارة / ضعفاً

وإذا كانت اللغة تقوى بقوة الحركة الحضارية، فإنها تضعف مع ضعف هذه الحركة. ولقد رأينا في عصر الركود الحضاري الذي تلا الغزو المغولي ضعفاً في اللغة العربية وآدابها، وتوقفت إلى حدّ كبير عملية الابتكار والابداع، وسادت الزكشة اللفظية والمحسنات البديعية التي تهتمّ بالظاهر وتزويقه بصورة عقيمة مجافية للذوق، ولقد حاول بعضهم أن يعزو هذا الضعف إلى التتريك أو إلى الحكام غير العرب في العالم الإسلامي، لكنّ الأمر يعود في رأينا إلى أفول الحركة الحضارية.

وبعد سقوط العالم الإسلامي بيد الاستعمار تقهقرت اللغة العربية في العالم العربي وفي البلاد الإسلامية إلى حدّ كبير، والسبب في ذلك يعود أيضاً إلى توقف الحركة الحضارية الإسلامية تقريباً.

وتحدّث كثيرون عن محاولات كرومر وكيتشنر وجوردون ودنلوب في مصر والسودان على محاربة اللغة العربية، لكنّ هذه المحاولات لم يكن لها أدنى تأثير على إضعاف اللغة العربية، بل على إضعاف روح العزّة لدى المسلمين وهو ماله علاقة بتركيز التدهور الحضاري كما سنرى.

وما ظهر في العالم الإسلامي من دعوات قيل إنها معادية للغة العربية على لسان حنّا أبو رشد، وسلامه موسى، ولويس عوض وأنيس فريحه ونصرى خطار وسعيد عقل وعبد العزيز فهمي وخيري حقي، هي إفراز طبيعي للحالة الحضارية أكثر مما تكون مؤامرة مدبّرة.

كما أن قضية فشل تعريب العلوم في الجامعات ومعارضة بعضهم لهذه العملية هي أيضاً حالة طبيعية لتخلّف المسلمين عن ركب الحضارة العالميّة.

مستقبلنا الحضاري

مما تقدّم نفهم أن مستقبل اللغة العربية يتوقف على مستقبلنا الحضاري، والجواب عن السؤال: اللغة العربية إلى أين؟ هو أنها إلى حيث أَلقت رحلها الحضارة الإسلاميّة.

وهل يمكن أن يكون لنا مستقبل حضاري بعد السقوط؟ ليست الحضارة الإسلاميّة مثل الحضارة الفرعونية والساسانية والبابلية والفرعونية وسائر الحضارات التي

سادت ثم بادت؟ هذه الأسئلة على غاية من الأهمية، فالاجابة عليها ترتبط بمستقبل أمتنا وبمشروع النهضة و.. بالتالي بمستقبل اللغة العربية.

كل المحاولات الفكرية الاستعمارية انصبّت في الواقع على إقناع المسلمين بأن الاسلام لا يمكن أن يكون له دور في الحياة بعد عصر العلم والتنوير، ولا بد أن يكون مصيره مثل مصير الكنيسة الغربية التي تركت الساحة للعقل الانساني.. المادّي طبعاً.

وهنا ظهرت فكرة نهاية التاريخ في إطار الفكر المادي الغربي لتقول مرّة على لسان الماركسية أن نهاية التاريخ هو المجتمع الشيوعي، وتقول على لسان الرأسمالية الغربية أن نهاية التاريخ هي قيام المجتمعات الليبرالية الديمقراطية^(٧).

وانتشرت أفكار المرجعية الغربيّة التي حاولت أن ترسّخ في أذهان المسلمين أن كل تقدّم حدث في التاريخ الإسلامي إنما هو بتأثر من الحضارة الغربيّة. والواقع أن الهزيمة الحقيقية للعالم الإسلامي أمام الغرب ما كانت سياسية ولا عسكرية، لكنّها ثقافية.

وهنا أحدّد معنى الثقافة كما عرّفَت الحضارة من قبل وأقول: إن الثقافة هي القوّة المحرّكة لمسيرة المجتمع نحو الانتاج الحضاري.

من هنا فان مستقبلنا الحضاري وبتبعه مستقبل اللغة العربية يتوقف على فاعلية ثقافتنا.

نحن نعتقد أن الثقافة الإسلامية فيها من عناصر الحركة بالقوّة مما يؤهلها لأن تستعيد دورها في دفع المسيرة الحضارية للأمة الإسلامية من جديد شرط أن تفعّل عناصر هذه الثقافة، أو بعبارة أصحّ إن تزال العوائق أمام فاعليتها.

ثمة ظواهر ايجابية راهنة كثيرة في الثقافة الاسلاميّة تمهد لاستعادة دورها من تلك: أنها مدعومة برصيد ايماني يرتبط بالبعد اللامتاهي الغيبي من الإنسان، وهذا الرصيد لايزال يؤدي دوره في عبادات الناس ومعاملاتهم وسلوكهم في الحياة.

أنها تقوم على أساس قيم انسانية تتجاوز الاختلافات القومية والاقليمية والجغرافية وهذه القيم هي التي تجعل الأمة الإسلامية تتخذ اليوم موقفا واحدا من كثير من قضايا العالم الإسلامي..

أنها لاتزال تؤدي دورها في خلق ذوق موحد تجاه الآداب والفنون، ولذلك، ورغم كل عوامل التمزيق بين المسلمين، لاتزال آدابهم وفنونهم تنطق بلسان واحد تقريباً.

أما ما فقدته الثقافة الإسلامية بالتدرج منذ بداية أفولها حتى اليوم فهو عنصران:

الأول: الشعور بالعرّة. لقد واجه العالم الإسلامي منذ القرن الهجري الأول عوامل لمصادرة العرّة، غير أن الطاقة الضخمة من الدفع الثقافى التي أودعها الإسلام في هذه الأمة تجاوزت كل تلك العوامل، وتواصلت المسيرة بشعور مليء بالعرّة، لكن هذه العوامل المثبطة تضخّمت بالتدرج، وهبط معها منحني العرّة، وجاءت حملة المغول لتفعل فعلها في إذلال المسلمين، لكن المسيرة تواصلت ولكن ببطء وبتعثّر، حتى جاء عصر الاستعمار ليوجّه أكبر ضربة لعرّة المسلمين، ولاتزال عملية الاذلال الاستعماري مستمرة حتى يومنا هذا.

الثاني: مما فقدته الثقافة الإسلامية من عناصر فاعليتها، فهو الانفتاح أو بالتعبير القرآني «التعارف». وكما أن التعارف بين «الذكر» و«الأنثى» أساس نمو البشرية كميّاً، فالتعارف بين «الشعوب» و«القبائل» أساس نموّ البشرية نوعياً.

من هنا نرى دعوة القرآن إلى التعارف واعتباره سبب التعددية البشرية، ومن هنا أيضاً نرى ازدهار الحضارة الإسلامية، يأتي بعد تعارف العرب مع الشعوب الأخرى.

وعبثاً هذا الجدل الذي يُثار عن الحضارة في العصر العباسي هل هي عربية أم فارسيّة، إنها بموضوعية كاملة إسلاميّة لأن الفضل فيها يعود إلى الإسلام الذي جعل الشعوب تنفتح على بعضها، وتتخذ قاعدة «إن أكرمكم عن الله أتقاكم» معياراً للتعامل مع بعضها.

هذا التعارف هبط بين المسلمين منذ بدايات النزاع الصفوي العثماني وبلغ حدّه الأدنى في الهبوط بعد معاهدات التقسيم وإقامة السدود والحدود بين المسلمين.

لقد كان العالم الإسلامي أيام ازدهار الحضارة الإسلامية قرية كبيرة متعارفه متواسية متعاونة، أما بعد الأفول الحضاري فقد تحولت إلى دويلات غير متواصلة رغم ثورة الاتصالات في العالم^(٨).

نحن إذن أمام مظاهر هامة للغاية من المظاهر الإيجابية التي تدلّ على حياة الثقافة

الإسلامية وفعاليتها في حياة المسلمين، لكننا أمام تحديات أهمها: استعادة العزّة، واستعادة التعارف.

ولا أريد الدخول في سبل تجاوز هذين التحديين، إلا بمقدار ما يرتبط باللغة العربية عامّة وبتدريسها لغير العرب بشكل خاص.

التمهيد لعالميّة اللغة العربيّة

عالمية اللغة العربية تتطلب أولاً تقديمها بلغة حضارية. وهذا يفرض مايلي:

- ١- التركيز على الجانب الانساني في آداب اللغة العربيّة، وارتباط ما كُتب بهذه اللغة بالفطرة الانسانية العامّة، وعلى جماليات هذه اللغة.
- ٢ - التأكيد على وحدة الدائرة الحضارية الاسلاميّة واشتراك كل الشعوب المسلمة في صيانة اللغة العربية وتطويرها.
- ٣ - قبول التعددية المحليّة لثقافة العالم الإسلامي، ومراعات هذه التعددية في المادة اللغوية المقدّمة إلى الشعوب الاسلاميّة.
- ٤ - ربط اللغة العربية بشبكات الاتصال العالمية (الانترنت).
- ٥ - ربط اللغة العربية بالفضائيات العربيّة.
- ٦ - التأكيد على إمكان استئناف مسيرة الحضارة الإسلاميّة.
- ٧ - بيان ما في العالم الإسلامي من إمكانات توفّر له فرصة النهضة واستعادة الهويّة والمكانة.
- ٨ - التأكيد على المشتركات الموجودة بين العالم الإسلامي والتقليل من أهمية الاختلافات المذهبية والقومية.
- ٩ - الاهتمام بالجانب المقارن من لغات الشعوب الاسلاميّة وآدابها.
- ١٠ - معالجة القضايا الحساسة في المادة اللغوية المقدّمة.
- ١١ - مواصلة جهود السلف في تقديم اللغة بشكل يتناسب مع مستوى المخاطب وعقليته.

١٢ - ارتفاع العرب إلى مستوى لا يقل عن مستوى الاسبان والطلليان مثلاً في تشجيع المتعلمين بلغتهم.

تجربتنا في هذا المجال

انطلاقاً مما ذكرت ساهمت في محاولة متواضعة تمثلت في ثلاث كتب دراسية جامعية بالعربية ومجلتين عربيتين أشير إليها باختصار:

١- كتاب: اللغة العربية الحديثة. وقد طبع مرات في مركز دراسة وتدوين كتب العلوم الانسانية الجامعية ويتكون من ثلاثة أقسام: القسم الاول يمرن الطالب على إنشاء الجملة البسيطة مع نصوص بسيطة ومحادثات موجزة. وفي هذا القسم قدمت الجمل والنصوص والمحادثات بصورة تجعل الايراني يشعر بقرب هذه اللغة قريبا شديداً من لغته، ويحس بأنه ليس غريباً على هذه اللغة في الافاظ والتراكيب. وأما من حيث المعاني فكان الاهتمام بالمشتركات العربية الايرانية في الدين والعقيدة والآمال والتطلعات ولو مستوى مبسّط وابتدائي^(٩).

والقسم الثاني: يشتمل على موضوعات للمطالعة والتوسّع، ومحادثات مع طائفة من أبناء البلدان العربيّة، ونثر الشعر.

وفيها اتجه الاهتمام إلى تقديم نصوص تتناسب مع ما يعيشه الطالب الايراني من اهتمامات دينية ووطنية مثل اهتمامه بايران وبالثورة الإسلامية والثورة الثقافية وبأئمة أهل البيت والسيرة النبوية والايمان بالله سبحانه، كل ذلك بلغة إسلامية تتأى عن التعصّب القومي والطائفي، وتقدّم للطالب الايراني مشهد العالم العربي القديم والمعاصر بايجاز وبلغة مبسّطة وبصورة يشعر فيها أن الحديث عن العالم العربي هو حديث عن وطنه الإسلامي الكبير^(١٠).

وفي نثر الشعر جرى الاهتمام بازالة الحاجز الذي تفصل الايراني عن الشعر العربي وما يكتنفه عادة من صعوبة فهم بسبب التقديم والتأخير والرمز وأحياناً الغموض^(١١).

والقسم الثالث يضم مقالات للحوار والمناقشة والانشاء والمحاضرة، وفيه معالجات مبسّطة لموضوعات تهّم الايراني ليستشعر ارتباطه بالحضارة الإسلامية وبالامة الإسلامية وبالقضايا المعاصرة مثل: دور الايرانيين في الحركة العلمية الإسلامية، والتأثير المتبادل

بين الادبين العربي والفرسي، وتاريخ الغزو الثقافى لايران والعالم العربي، وقضايا المرأة والوحدة الإسلامية، وهذا الموضوع الاخير استوعب ثلاث مقالات لاهميته فى إزالة الذهنية الطائفية التي تشكل عائقاً امام وحدتنا الحضارية^(١٢).

والكتاب الثانى: الادب العربي وتاريخه حتى نهاية العصر الاموي، وهو أيضاً طبع مرّات فى المؤسسة المذكورة، وقدمنا فيه تاريخ الادب العربي بلغة مبسّطة تتناسب مع غير الناطقين بها، وأحسب أنه أول كتاب دوّن فى تاريخ الادب العربي بهذه اللغة، رغم أن الانجليز يقدمون آدابهم بلغة مبسطة خاصة لمن لا ينطق بالانجليزية، وربما يفعل ذلك غيرهم من الأمم.

وفيه إضافة إلى تبسيط اللغة ومراعاة قربها من اللغة الفارسية، اهتمام بمشاركة الايرانيين فى هذا الادب منذ بداية الفتح الإسلامى مثل زياد الاعجم الذي أسلم سنة ٢١ هجرية، واشترك فى فتح اصطخر سنة ٢٣هـ، وكان شاعراً ومن رواة الحديث الشريف^(١٣).

وكذلك اهتمام بالأدب الموالى لآل بيت رسول الله وعرضه باعتباره أدباً رسالياً لامذهبياً، لما لهذا الأدب من صدى فى أعماق الوجدان الايرانى^(١٤).

والاهتمام أيضاً بتقديم الغزل بصورة تقارب الغزل فى المفهوم الفرسى، وهو التغنى بالجمال المطلق على اعتبار أن النفس الانسانية تعشق الجميل المطلق فطرياً. والتغنى بجمال الانثى إنما هو فى الواقع استثارة الاشواق نحو الجميل المطلق سبحانه^(١٥).

وهو رأى فى الغزل يستحق الوقوف عنده، لتكوين نظرية انسانية جمالية سامية للغزل تفرق بينه وبين الحديث عن الشهوات والنزوات والاباحية الجنسية.

والكتاب الثالث: حول «تاريخ الادب العربي فى العصر العباسى» وهو أهم من الاول لأنه يتناول العصر الذهبى من الحضارة الاسلامية. وفيه، إضافة إلى رعاية ما روعي فى الكتاب السابق، اهتمام خاص ببيان دور «التعارف» بين الشعوب الإسلامية فى بناء الحضارة الإسلامية^(١٦)، وفى تطور اللغة والادب والعلوم، كما فيه ردّ على ما نسب إلى الايرانيين من إشاعة الزندقة والمجون بين المسلمين، وتحليل إنسانى حضارى لمفهوم الشعوبية^(١٧). وبيان الرأى الآخر تجاه ما نسب من انحرافات لكبار شعراء هذا العصر أمثال بشار وابي نؤاس وابي العتاهية وديك الجن وابن الرومى^(١٨)، مع بيان جوانب التطور

في المعاني والالفاظ والصور الادبية خلال هذا العصر تمشياً مع التطور الحضاري. وعرضت صوراً من صور الحوار الحضاري بين الافكار والعقائد المختلفة في هذا العصر، وكيف أنّ التعامل بين المختلفين كان يقوم على أساس علمي انساني متسامح منفتح.

أما المجالات العربية: فالفصلية الاولى «رسالة التقريب» وكنت رئيس تحريرها حتى العدد ٣٧ واهتمامي بها وبأمر التقريب بين المذاهب الإسلامية يأتي ضمن اهتمامي بوحدة الدائرة الحضارية الإسلامية واهتمامي بأمر نهضة هذه الأمة والتخلص من تخلفها. والتأكيد فيها كان على بيان المشتركات الهائلة بين المسلمين، بل اشتراكهم حتى فيما يظهر أنه موضع اختلاف فقهي أو عقائدي، غير أن فكرة أخرى تبلورت لدي منذ سنين هي إن التفرقة الطائفية الموجودة في عالمنا الإسلامي مردّها ليس إلى الفقه أو إلى العقيدة بل إلى ركود حركتنا الحضارية.

فالركود الحضاري يشبه حالة الموت التي تجعل أجزاء الجسم غير مترابطة عضوياً. ولذلك عملت على إصدار فصلية «ثقافتنا» وقد صدر منها حتى الآن عشرة أعداد. وهي مجلة متخصصة - كما ذكر على غلافها - في استئناف مسيرة الحركة الحضارية الإسلامية.

استنتاج

مما تقدم أخرج بنتيجة مفادها أن كل محاولة لإعادة الثقة باللغة العربية يجب أن تكون مقرونة بإعادة الثقة بمستقبلنا الحضاري.

إننا أمام موجة عارمة من الغزو الثقافي الذي يريد أن يزلزل ارتباطنا بهويتنا وأصالتنا، ويقدم لنا مرجعية ثقافية وحيدة هي مرجعية القوى المهيمنة.

ونحن أيضاً أمام موجة تعميق التمزيق أو كما قيل تجزئة المجزأ كي لا نفكر بوحدتنا الحضارية.

ونحن أيضاً أمام طوفان ثقافي وإعلامي وسياسي وعسكري يستهدف إذلال العالم الإسلامي ومصادرة كرامته.

واللغة العربية تستطيع أن تنهض بدور هام في مواجهة كل هذه المحاولات خاصة خارج العالم العربي، إذ إن ارتباط غير العربي باللغة العربية يساوي إلى حد كبير ارتباطه

بالاسلام وبالامة الإسلامية ويعني انتماءه الحضاري وتوجهه الرسالي.

وهذا يتطلب تعاوناً جاداً بين المهتمين باللغة العربية عرباً وغير عرب لتطهير كتبنا عامة والدراسية خاصة من آثار فترة التناظر القومي التي شاعت في العالم الإسلامي.

ويتطلب أيضا الاهتمام بلغات العالم الإسلامي وآدابها وبالدراسات المقارنة بينها وبين اللغة العربية، فهذا يساعد إلى حدّ كبير في تركيز مفهوم وحدة الدائرة الحضارية الإسلامية.

ويتطلب كذلك إبراز دور المسلمين عامة في بناء صرح اللغة العربية وآدابها.

هذا إلى جانب الاهتمام باقامة جسور تواصل بين طالب اللغة العربية من غير الناطقين بها، والفضائيات ومواقع شبكات الاتصال التي تحترم نفسها وتحترم المتعامل معها.

وأنا مكلف من جامعة طهران لأبدي استعداد الجامعة للتعاون مع جامعة الجنان ومركز الابحاث والتنمية في مجال وحدة الدائرة الحضارية الإسلامية واستئناف المسيرة الحضارية وسائر المجالات التي ترتبط بمستقبل أمتنا ومستقبل اللغة العربية.

الحواشي

- 1 - انظر في هذا الصدد: مقدمة فكرية لحركة المشروطة، علي اكبر ولايتي، ترجمة آذرشب، وكذلك كتاب: الاسلام وايران، وهو ترجمة كتاب: «خدمات متقابل إيران واسلام» مرتضى مطهري.
- 2 - حتى يومنا أهم الكتب في التفسير والفقه والاصول تؤولف في إيران باللغة العربية. مثل تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي، وكتاب تحرير الوسيلة في الفقه للامام الخميني.
- 3 - اللغة العربية / اسئلة التطور الذاتي والمستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ٢٠٠٥، مقال: اللغة العربية والوجود القومي، ياسين خليل، ص ٤١ - ٤٢.
- 4 - قراءات في الادب العباسي/ الحركة الشعرية، د. احلام الزعيم، منشورات جامعة دمشق، دمشق ١٩٩١ - ١٩٩٢.
- 5 - تاريخ الادب العربي، العصر العباسي.
- 6 - عبد الله القصيمي، العرب ظاهرة صوتية، ص ٦٥٠، نقلاً عن عبد الله النفيسي، البعد السياسي لقضية اللغة العربية، كتاب اللغة العربية أسئلة التطور الذاتي.. مصدر مذكور ص ٥٩.
- 7 - يلاحظ أن فوكوياما في كتابه «نهاية التاريخ» قد استبدل «التيموس» الافلاطوني بوسائل الانتاج في الفكر الماركسي، أي إن الماركسية كانت ترى أن تطور وسائل الانتاج هو العامل في حركة التاريخ، بينما رأى فوكوياما أنه «التيموس» وهذا التيموس لا يعني سوى «العزة» وهذه حقيقة تقارب الفهم الإسلامي في حركة التاريخ، لأن العزة مثل أعلى ينشده الإنسان في حياته ومن خلال ذلك يتحرك على ساحة التاريخ، انظر «سنن التاريخ» محمد باقر الصدر.
- 8 - انظر: العلاقات الثقافية الايرانية العربية. د. آذرشب، دمشق ٢٠٠١م.
- 9 - اللغة العربية الحديثة، ط ٨، طهران ٢٠٠٥، مؤسسة سمت، ص ٦ - ١٢٨.
- 10 - نفس المصدر، ص ١٢٩ - ٢٠٠.
- 11 - نفس المصدر، ص ٢٠١ - ٢٢٣.
- 12 - نفس المصدر، ص ٢٢٤ - ٣٠٧.
- 13 - الادب العربي وتاريخه حتى نهاية العصر الاموي، ط ٦، طهران ٢٠٠٥، مؤسسة سمت، ص ٢١٨ - ٢٢٣.
- 14 - نفس المصدر، ص ١٧٠ - ١٧١، ٢٠٠ - ٢١٤.
- 15 - نفس المصدر، ص ٤٧ - ٥٠؛ ٢١٦ - ٢١٨.
- 16 - تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي، ط ٣، طهران، ٢٠٠٤، مؤسسة سمت، ص ٢٦ - ٢٨؛ ص ٣٥ - ٢٨.
- 17 - نفس المصدر، ص ٣٩ - ٤١.
- 18 - نفس المصدر، ص ٨١ وما بعدها، ٨٩ وما بعدها، ١٠٧ وما بعدها، ١٣٩ وما بعدها.